المنظور التنموي للإسلام

دراسة تحليلية لأطر التنمية في النظام الاجتماعي

أ.م.د. شلال حميد سليمان*

تاريخ التقديم: 2009/3/1 تاريخ القبول: 2009/3/18

المقدمة

يرى اغلب المختصين في العلوم الاجتماعية أن العلاقة بين الدين والمجتمع تتراوح بين كونه دافعا أو عائقاً لعملية التطور الاجتماعي، فقسم من المجتمعات تحتاج إلى أحداث تغيرات جذرية في معتقداتها وقيمها الدينية حتى تستطيع تحقيق النقلة الحضارية المطلوبة، والقسم الآخر يحتاج إلى تطبيق دقيق لقيمها ومعتقداتها الدينية بعيداً عن الخرافة والأسطورة لتحقيق تلك النقلة الحضارية والاجتماعية المطلوبة.

ومن يتأمل ما حصل في القرون الأخيرة من تطور مادي مذهل في حياة البشرية وما انبثق عنه من تنمية اجتماعية وحضارية هائلة يرى أثره في سلوك الإنسان والنظم الاجتماعية بأشكال مختلفة واقتصر ذلك على المجتمعات الغربية على الأغلب، ومن يقارن ذلك بالمجتمعات الإسلامية والعربية يجدها لازالت ترزح تحت وطأة الفقر والجهل والمرض والتخلف، مما قد يتبادر إلى الذهن أن الإسلام قد يكون فيه ما يعيق عملية التنمية والتطور الاجتماعي والحضاري.

إن هذه التساؤلات وغيرها هي التي تبرر إعطاء الأولوية لدراسة المنظور التنموي للإسلام، من خلال إلقاء الضوء على مظاهر المنظور التنموي بكل أبعاده وإبراز شموله واستيعابه لواقع الحياة البشرية بجميع جوانبها، مع تركيز خاص على أُطر التنمية في النظام الاجتماعي بوصفه يقع في قمة اهتمامات المختص في علم الاجتماع والفكر الاجتماعي.

إذ تطلب ذلك استعراض المظاهر التنموية في النظام العبادي لان هناك تلازماً وثيقاً واعتمادية متبادلة بين النظام العبادي وباقي الأنظمة الاجتماعية في

* قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

المجتمع الإسلامي، فكان ذلك محور المبحث الثاني، بعد أن تناولنا الإطار المنهجي للبحث في المبحث الأول، أما المبحث الثالث فتضمن الأُطر التنموية في النظام الاجتماعي الإسلامي بَدءً بالحديث عن حوافز ومحركات ومحددات الفعل الاجتماعي مع الوقوف عند المناخ الذي سعى الإسلام لتهيئته من خلال مراحل تكوين المؤسسات الاجتماعية على أسس سليمة، فضلا عن الحديث عن أنماط العلاقات الاجتماعية التي حددها الإسلام ومن ثم محاولة استخلاص أهم الخصائص والمميزات التي يتسم بها المنظور التنموي الإسلامي.

المبحث الأول: الإطار المنهجي

أولا: مشكلة البحث

من ينظر إلى واقع الحياة في المجتمعات الإسلامية، ويقارنه بغيره وبالأخص بواقع الحياة في المجتمعات الغربية ((المسيحية))، يتبادر إلى ذهنه أن الإسلام قد يكون فيه ما يعيق عملية التنمية والتقدم الحضاري وجاءت صورة العالم العربي والإسلامي على محك الممارسة لترسيخ هذا التصور، إذ بدت ممارسات تلك المجتمعات وكأنها غير منسجمة مع الحضارة، واعتبرت هذه الممارسات إسلامية بحكم أنها في العالم الإسلامي. لابل إن هذا التصور انتقل إلى بعض المشتغلين في علم الاجتماع على أن الإسلام يمثل عقبة في طريق التنمية والتقدم، وبان العرب متخلفون لكونهم مسلمين، فعقد (ماكس فيبر) مقارنة بين الإسلام والمذهب البروتستانتي في كتابه ((سوسيولوجيا الدين)) خلص منها إلى أن الإسلام فرض على معتنقيه نمط حياة كله عجز وتواكل، في حين كرست البروتستانتية قيم السيطرة على المحيط والتحكم في الحياة، وزعم (دافيد ماكليلاند) صاحب الكتاب الموسوم((مجتمع الانجاز)) أن العرب يشغلون موقعاً متدنياً على صعيد الانجاز لأنهم مسلمون[1].وهكذا أصبح في عرف هؤلاء أن الإسلام هو المسؤول عن تخلف المجتمعات الإسلامية، وليس البعد عن المنهج الإسلامي.

(1) المنوفي، كمال "الدكتور" الإسلام والتنمية دراسة ميدانية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1985، ص13.

يهدف هذا البحث إلى تمحيص تلك النظرة من خلال تحديد ملامح المنظور التنموي للإسلام.ويمكن تحليل أو تجزئة المنظور التنموي إلى مجموعة من المظاهر التنموية التي تشكل من خلال الأنظمة الآتية:-

1. المظاهر التنموية في النظام العبادي للإسلام.

2. المظاهر التنموية في النظام الاجتماعي للإسلام على وفق المحاور الآتية:-

أ المظاهر التنموية في مقاصد الفعل الاجتماعي للمسلم.

ب. المظاهر التنموية في عملية بناء المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

جـ. المظاهر التنموية في انساق العلاقات الاجتماعية.

تلك المظاهر توفر فرصة مناسبة لرؤية الأفق التنموي من زوايا مختلفة، لتؤكد شمولية المنظور الإسلامي وتميزه عن المنظور الغربي، فالمنظور التنموي الإسلامي لا يهدف إلى زيادة الإنتاج فحسب بل يشمل تنمية الإنسان بكل قدراته ومواهبه والمجتمع بكل أنظمته.

ثانياً: أهمية البحث والحاجة إليه:

لهذا البحث أهميتان أساسيتان: أولهما الأهمية النظرية، وثانيهما الأهمية التطبيقية، فالأهمية النظرية تكمن في الإضافات الفكرية والمنهجية التي جاء بها الإسلام من أجل عملية التغيير الاجتماعي الشامل، حيث حدد من خلال منظوره التنموي الغايات والمقاصد الأساسية التي ينبغي أن ينصب عليها الجهد للإنسان المؤمن ومن خلالها تتوجه أفعاله لتحقيق رسالته في الحياة فتحديد سمات وخصائص مظاهر المنظور التنموي للإسلام يمكن أن يقودنا إلى تبديد الشكوك وبلورة تصور واضح الملامح للمنظور التنموي في الإسلام.

أما الأهمية التطبيقية للبحث فإنها تتحقق من خلال عملية بناء تصور واضح الملامح للمنظور التنموي تتحدد من خلال آليات عمليات التفاعل الاجتماعي التي تقود إلى عملية خلق تكامل اجتماعي وتساند وظيفي واعتمادية متبادلة بين مؤسسات البناء الاجتماعي للمجتمع لإدامة عملية التفاعل المتوازن بين الجانب العبادي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي.

ثالثاً: أهداف البحث

نسعى من خلال هذا البحث دراسة المنظور التنموي للإسلام والتي هي دراسة تحليلية لأطر التنمية في النظام الاجتماعي، لتحقيق طائفة من الأهداف منها:

1. تحديد المظاهر التنموية للنظام العبادي في الإسلام بوصفه الإطار العام الذي يتبلور من خلاله ملامح بقية الأنظمة في المجتمع الإسلامي.
2. تحديد المظاهر التنموية للنظام الاجتماعي في الإسلام.

المناهج المستخدمة في البحث.

لكل بحث أو دراسة علمية إطار منهجي يتم من خلاله وضع الخطوط العريضة لسير ذلك البحث أو تلك الدراسة، وقد استعان الباحث في دراسته للمنظور التنموي للإسلام بثلاثة مناهج أساسية تمثلت بـ(المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي).

مفاهيم البحث ومصطلحاته العلمية.

تحديد المفاهيم الأساسية للبحث بدقة يعد أمراً مهما وقاعدة منهجية من قواعد البحث العلمي، وسنوضح المفاهيم الآتية:

1. **المنظور التنموي للإسلام:** هو النسق التصوري لمظاهر الفعل الاجتماعي النابع من اليقين الوجداني للمسلم والمتوائم مع قواعد عملية التفاعل الاجتماعي لتحقيق المصلحة الاجتماعية من خلال ضبط وتنظيم وتوجيه أنماط الفعل لتغيير واقع الحياة والمساهمة بخلق اجتماع بشري متوازن فضلا عن تطوير العمران الحضاري لبناء مجتمع التكافل الاجتماعي النموذج.
2. **النظام الاجتماعي:** هو مجموعة القوانين التي ينبغي للأفراد أن يتقيدوا بها ويخضعوا لها[2]، ويعرفه (م. موس، وب. فوكنية M.mauss et P. Fauconnet) في الموسوعة الفرنسية الكبرى، بأنه مجموعة من الأفعال أو

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1971، ص471.

الأفكار المرتبة ترتيباً دقيقاً، ويجد الأفراد أنفسهم مجبرين على الخضوع لها[3]. وعرفهُ ماكيفر في كتابه (المجتمع) بأنه (الأشكال أو الشروط المستقرة للإجراءات الاجتماعية، وهي أشكال يتميز بها نشاط الجماعة)، فالهيئات أو الجماعات أو الزمر عبارة عن مجموعة من الناس تهدف إلى تحقيق مصلحة اجتماعية أو أكثر، في حين النظم تمثل أساليب نشاطها في سبيل تحقيق هذه الغايات. ويعرف تالكوت بارسونز T.Parsons النظام بوصفه مركباً يقوم على تكامل الأدوار التي يقوم بها الأفراد والتي يكمل بعضها بعضاً،أو عبارة عن (العلاقات الموجودة بين المكانات الاجتماعية للأفراد)[4]. والدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (علم الاجتماع)يعرف النظم الاجتماعية بأنها "مجموعة القواعد أو الاتجاهات العامة التي يشترك في إتباعها أفراد مجتمع ما، ويتخذونها أساسا لتنظيم حياتهم الاجتماعية، وتنسيق العلاقات التي تربطهم بعضهم ببعض، وتربطهم بغيرهم"[5].ويعد هذا التعريف تعريفاً إجرائياً للنظام الاجتماعي في البحث.

المبحث الثاني:المظاهر التنموية في النظام العبادي

يعد النظام ركناً مهما وأساسيا من أركان البناء الاجتماعي في المجتمع، لا بل يمكن القول بأن النظام العبادي ينظم بقية الأنظمة التي يتكون منها البناء الاجتماعي، فهو ينظم حياة الأسرة وعلاقات القرابة والزواج والطلاق والميراث، وينظم الحياة الاقتصادية وينميها لصالح الفرد والجماعة والمجتمع[6].فالنظام العبادي في الإسلام يشمل الدين كله ويتسع للحياة بمختلف جوانبها ومن يتوخى المقاصد الأساسية لهذا النظام يجد المظاهر التنموية تضرب بجذورها في كل مناحي النظام العبادي وفي كل جوانب الحياة التي يشملها.

---

(3) مكدور إبراهيم "الدكتور " ، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العام، 1975، ص603.

(4) المصدر السابق نفسه، ص604.

(5) وافي ، علي عبد الواحد "الدكتور"، علم الاجتماع، نقلاً عن إبراهيم مدكور ، معجم العلوم الاجتماعية ، مصدر سابق، ص604.

(6) الحسن ، إحسان محمد "الدكتور " ، علم الاجتماع الديني، دراسة تحليلية حول العلاقة المتفاعلة بين المؤسسة الدينية والمجتمع، بغداد ، 2003، لا يوجد اسم مطبعة، ص51.

فالآفاق الرحبة لهذا النظام تتسع لتشمل الفرائض من صلاة وصيام وحج وزكاة، وهي تشمل أيضا برَّ الوالدين وصلة الرحم والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والرحمة بالضعفاء والرفق بالحيوان. ودائرة العبادة تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها من صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين[7].ومن يتأمل آفاق تلك المظاهر يلاحظ بما لا يدع مجالاً للشك أن المنظور التنموي بارز في المنهج الإسلامي، حيث تحرى الإسلام كل ما يمكن أن يجعل هذا الإنسان ايجابيا، بدأ من آداب الأكل إلى بناء الدولة وسياسة الحكم فيها وإدارة شؤونها[8]، والنظام العبادي وعلى اختلاف فرائضه يتسم بالمرونة لكي ينسجم مع الطبيعية البشرية وقدرة الأفراد على أداء تلك الفرائض على اختلاف طاقاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم، فلم تكن هذه العبادات تتعلق بالجانب الاقتصادي فينفرد بها الأغنياء، أو بدنيه فيختص الأقوياء بها ولا هي علمية أو ثقافية فيتميز بها المتعلمون بل جعلها الله إنسانية عامة يؤديها كل إنسان على قدر طاقته وإمكانياته ليعم نفعها ولتتحقق الغايات الأساسية التي فرضت من اجلها.وفي هذا المبحث سنتحرى المظاهر التنموية في فرض من الفرائض الأساسية في النظام العبادي للإسلام إلا وهي الصلاة، لان المقام سيطول بنا لو تناولنا المظاهر التنموية في جميع الفرائض، وسنتناول الفرائض الأخرى بالتحليل في بحوث لاحقة وعلى وفق مظاهرها التنموية البارزة فيها.

فالصلاة هي أولى الفرائض التي فرضت على المسلم، وقد جعلت هذه العبادة موقوتة بأزمنة محددة (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً) النساء/103، حيث أمر الله تعالى المسلمين بإقامتها حين يمسون وحين يصبحون وعشياً وحين يظهرون.فقد جعلت هذه العبادة حماماً روحياً للمسلم يتطهر بها من الخطايا والآثام. قال الرسول (ﷺ) في حديثه الشريف: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ

(7) القرضاوي ، يوسف "الدكتور"، العبادة في الإسلام، الدار المتحدة ، دمشق ، ط2، 1992، ص50.

(8) المصدر نفسه، ص54.

يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا)[9] وليس اثر الصلاة مقصوراً على الجانب العبادي الروحاني من غسل الأدران وتكفير الخطايا فحسب، وإنما لها أثار ايجابية أخرى. فان توزيع هذه اللحظات الخصبة على يوم المسلم وكما هو موضح في الشكل رقم (1).

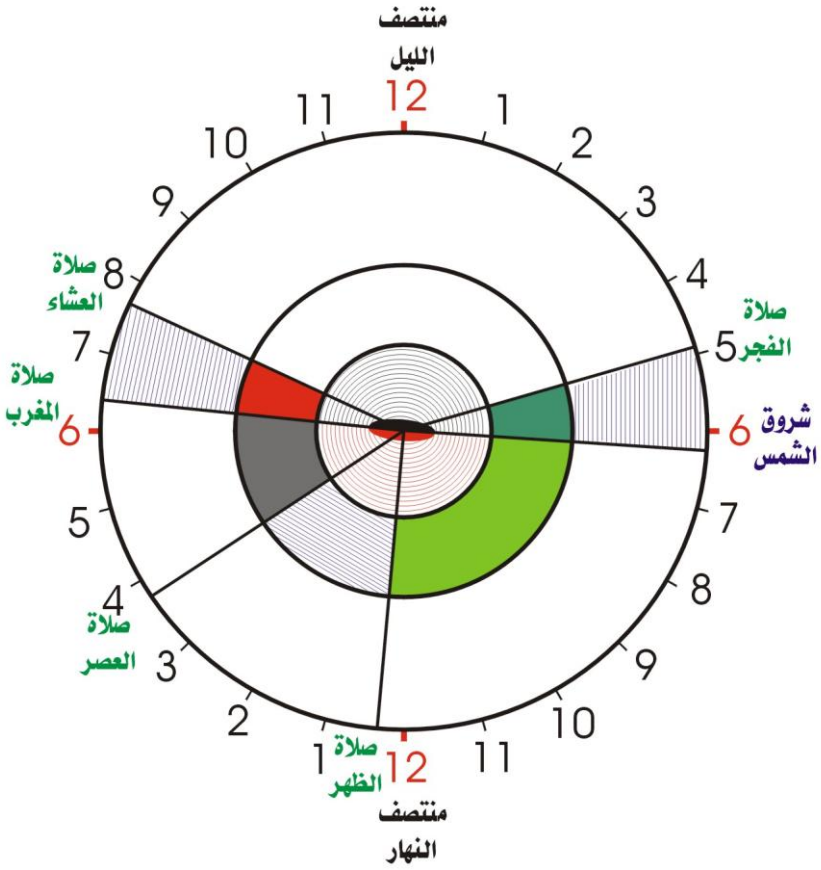

شكل رقم (1)

يبين توزيع مواقيت الصلوات على ساعات اليوم.

(9) رواه صحيح بخاري ، رقم الحديث (497).

حيث تبدأ الصلاة الأولى وهي (صلاة الفجر) قبل ساعة وربع من شروق الشمس وتنتهي أخر صلاة مفروضة وهي (صلاة العشاء) بعد غياب الشمس بساعة وربع، ومن يتأمل ذلك التوزيع للصلوات يجد أن الله سبحانه وتعالى رسم للمسلم منهجاً دقيقاً لكي يمسك بزمام المبادرة في يومه تجنباً لإهدار الوقت حيث نهى الرسول(ﷺ) عن النوم بعد صلاة الفجر واعده مجلبلً للفقر، في حين نصح بأخذ الراحة والقيلولة بعد الظهر.

فاليقظة المبكرة تمنح المسلم نشاطاً يستقبل به يومه، ومن يعتمد هذا التوزيع للوقت بين العبادة والعمل والراحة يجد أن قد استثمر وقته على أفضل وجه.وقد لا ندرك سر تكرار الصلاة في اليوم، فضلاً عن انه حدد لكل صلاة منها ركعات معدودة ورتبت كيفيتها على نسق فريد، حيث جعلت صلاة الصبح نصف صلاة الظهر والعصر، وان السجود ضعف الركوع في الصلاة.

والإسلام لم يكتف من المسلم أن يؤدي الصلاة وحده في عزلة عن المجتمع الذي يحيا به، لكنه دعاه دعوة قوية إلى أدائها في الجماعة وبخاصة في المسجد، فان لم تكن صلاة الجماعة واجباً فهي أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة في نظر الإسلام (حيث قال رسول الله (ﷺ) :صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)[10].

وحينما يستجيب المسلمون لنداء الصلاة خمس مرات في كل يوم في مسجد حيّهم، فيتعارفون ويتألفون، وفي ذلك دعوة لتعزيز الألفة والمحبة بين المسلمين وترسيخ روح الجماعة، والتي سعى الإسلام إلى بثها في كل مفاصل الحياة الاجتماعية.

ويجتمع المسلمون على نطاق أوسع في صلاة الجمعة، تلك الشعيرة الأسبوعية التي اوجب الله فيها الجماعة إيجابا، وفي هذا الاجتماع الأسبوعي موعظة وتذكير وتوجيه فضلاً عن ما فيها من إحياء لعاطفة الإخوة وتعزيز أواصر العلاقات الاجتماعية.ويتسع نطاق هذا التجمع في صلاة العيدين، فقد أراد الإسلام

(10) رواه البخاري ، برقم (609).

من هذه الصلاة أن تكون مؤتمرا جامعاً ومهرجاناً كبيراً تتصافى فيه القلوب ليتعزز التآلف والتعاطف والتراحم بين أبناء المجتمع[11].

ومن نافلة القول أن نذكر بعد استعراض مظاهر هذه العبادة " الصلاة " من وضوئها وتكرارها وحركاتها وما يقرأ فيها من الآيات من القران الكريم نجدها مدرسة إنسانية عالية وتربية اجتماعية رشيدة.

فالصلاة نظافة وطهارة ورياضة بدنية، تعلم المسلم الحرص على المواعيد والدقة فيها، والتغلب على نوازع الكسل وجوانب الضعف الإنساني، وهي قيمة خلقية فيها مدد لضمير المسلم يدفعه لفعل الخير وترك الشر، وفيها قوة روحية وطمأنينة واستقرار نفسي.فالوقوف خمس مرات في اليوم بين يديّ الله سبحانه وتعالى يعزز اليقين الوجداني للمسلم وينظم الحياة العاطفية والانفعالية التي يعيشها لا سيما وقت الأزمات، حيث تمنح الفرد قوة معنوية عالية وثقة بالنفس وجرأة تمكنه من مواجهة اشد الأزمات التي يمكن أن تلم به وتطويق آثارها السلبية.

المبحث الثالث:المظاهر التنموية في النظام الاجتماعي للإسلام.

لقد أرسى الإسلام قواعد نظامه الاجتماعية على أسس متعددة لكنها مترابطة متكاملة تنبع من أصول عقيدية وتقوم على أساس تصوره المرتبط بواقع الحياة الاجتماعية.

ويمكن تحديد النظام الاجتماعي بأنه مجموع المعايير والقيم الاجتماعية والقواعد والقوانين المستمدة من الشرع الإسلامي والتي تعمل على إدامة عملية التفاعل الاجتماعي المتوازن بين مكونات البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي.وعند الحديث عن المظاهر التنموية في النظام الاجتماعي لابد من اعتماد الخطوات الآتية:-

1. تحديد المظاهر التنموية في مقاصد الفعل الاجتماعي للمسلم.
2. تبيان المظاهر التنموية في عملية بناء المؤسسات الاجتماعية وتحديد الوظائف المنوط بها.
3. توضيح المظاهر التنموية في انساق العلاقات الاجتماعية.

(11) القرضاوي، يوسف "الدكتور" العبادة في الإسلام، مصدر سابق، ص210-226.

أولا: تحديد المظاهر التنموية في مقاصد الفعل الاجتماعي للمسلم.

أفعال المسلم والتي ليست من أمور العبادة، ولم يكن الإسلام منشئاً لها، بل الناس هم الذين انشؤوها وتعاملوا بها، قبل مجيئه وجاء الإسلام مصححاً لها، ومعدلاً ومهذباً ومقراً في بعض الأحيان ما خلا من الضرر وفساد منها. حيث جعل الإسلام إقرار الفعل أو تحريمه راجع لمصلحة البشر أنفسهم، فما كان خالص النفع فهو حلال وما كان خالص الضرر فهو حرام، وما كان نفعه اكبر من ضره فهو حلال، وما كان ضرره اكبر فهو حرام[12] قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا..) البقرة/219.

وقد ميز الإسلام بين المصلحة الذاتية والمصلحة الاجتماعية فالمصلحة الذاتية حاضرة في ذهن الفرد دائماً، أما المصلحة الاجتماعية وعلى الرغم من أهميتها لكنها لا تقع في مجال اهتمام أفراد المجتمع أحياناً أو تعطى الأولوية، فسعى الإسلام إلى استثارة أفراد المجتمع ودعم مشاركتهم في تحقيق المصلحة الاجتماعية، وعدها من أولويات الإنسان المسلم، حيث تشير القاعدة الفقهية((يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام))[13]، يتحمل الضرر الخاص لأنه يصيب فرداً أو فئة قليلة لدفع الضرر العام الذي قد يصيب المجتمع بأسره، وفي ذلك مصلحة اجتماعية متحققة من خلال محاصرة الضرر إلى أدنى حد ممكن.

وسعى الإسلام لتحقيق المصلحة الاجتماعية وتعزيزها، ومحاصرة المفاسد الاجتماعية وتقليل أثرها، حيث رجَّح تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، أي دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.وفي حال تعارض مفسدة ومصلحة قدم المفسدة غالباً(درء المفاسد أولى من جلب المصالح) لان اعتناء الشرع بالمنهيات

(12) القرضاوي، يوسف "الدكتور" ، الحلال والحرام في الإسلام، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط13، السنة 1985، ص24، ص34.

(13) الزرقا، الشيخ أحمد بن الشيخ محمد، شرح القواعد الفقهية، دار القلم ،/ دمشق، ط2، 2001، ص197.

اشد من اعتنائه بالمأمورات[14]، قال رسول الله (ﷺ)مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَمَا أَمَرْتُكُمْ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ [15].

إن قواعد تحليل الفعل الاجتماعي أو تحريمه في الشريعة الإسلامية تتسم بالشمول والاطراد، فما احل من فعل فهو حلال للناس كافة، وما حُرّم فهو حرام على الجميع إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فالسرقة حرام، سواء كان السارق مسلماً أو غير مسلم، أو كان المسروق منه مسلماً أو غير مسلم، والجزاء لازم للسارق اياً كان نسبه أو مركزه[16] قال الرسول (ﷺ) (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)[17]، وتعد قاعدة الشمول والاطراد احد مظاهر التوازن في الحياة الاجتماعية حيث يتحقق العدل الحقيقي وتطبيقاته، وهو أحد الركائز الأساسية لنمو المجتمعات وتطورها.

بيد أن الإسلام لم يغفل عن ضرورات الحياة، فقد أباح للمسلم عند ضغط الضرورة أن يفعل ما يدفع عنه الضرر حتى لو كان الفعل محرماً، قوله تعالى (فمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) البقرة/173. والقاعدة الفقهية تشير إلى أن(الضرورات تبيح المحظورات) لكن ذلك مقيد "لأنه الضرورة تقدر بقدرها"، وفي هذه الإباحة المقدرة بمقدار دفع الضرر عن الإنسان والحفاظ على حياته وتخفيف العبئ عنه، مظهر تنموي يراعي عنصر الضعف في الفطرة الإنسانية، ويعمل على تجليها، ودفع الكلف عنها وإسراء مفعولها إلى مظاهر السلوك كافة.

والضبط المتوازن لآليات الفعل الاجتماعي من خلال الوسائل المتعددة ((تنشئة أسرية، مكافآت، عقوبات، شعائر وطقوس))[18]، يجدد حيوية الإنسان،

---

(14) الزرقا،المصدر السابق نفسه، ص205.

(15) رواه احمد ، برقم (7063)

(16) القرضاوي، يوسف "الدكتور" ، الحلال والحرام في الإسلام، مصدر سابق، ص 45

(17) رواه البخاري برقم(3216).

(18) زيدان ، عبد الكريم "الدكتور "، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط16، 2002، ص84.

وينمي قدراته وقابلياته ويعزز فاعليته ليحقق التماثل والتوافق مع مكونات النظام الاجتماعي، حيث اعتمد النظام الاجتماعي الإسلامي عملية تفضيل الجزاءات الايجابية، " المكافآت " لكي يتم عملية تعزيز عملية الامتثال والالتزام بمتطلبات النظام والمحافظة على هيبته وتعزيز حيويته وفق رؤية تطورية،(مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا...) الأنعام/160، وأخيرا فإن استخدام النظام الاجتماعي الإسلامي لآليات مختلفة في ضبط الفعل الاجتماعي للأفراد لا يعني جعلهم مُكَبلين بقواعد صارمة جامدة، لان واقع الحياة الاجتماعية المتغير غالباً ما يدعوهم للاجتهاد في ابتكار بدائل تقدم مديات أفضل تساهم في عملية التطور والتقدم الاجتماعي لكن دعاهم إلى التفكير ملياً بنتائج هذا الفعل لأنه سيكون محل تقليد ومحاكاة من قبل الآخرين،فإذا كان الفعل ايجابيا، فيصيب الفرد المبدع والمبتكر أجره وأجر من يعمل به، أما إذا كان الفعل مبتدعاً وفيه ضرر فسيكون عليه وزره ووزر من يعمل به، حيث قال رسول الله (ﷺ)(مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا) [19].

ثانيا: المظاهر التنموية في عملية بناء المؤسسات الاجتماعية.

الإسلام لم يطرح أهدافا ومبادئ عليا ومثلا تاركاً لها دونما تفصيل وكيف يتم تحقيقها، وإنما رسم لها منهاجاً دقيقاً لتطبيقها، فحدد من خلال ذلك العديد من المؤسسات التي تؤطر عملية التفاعل الاجتماعي محدداً الأدوار والوظائف التي ينبغي أن تقوم بها تلك المؤسسات، لكي لا ينحرف السبيل بالإنسان عن الهدف الذي خلق من اجله ولا الرسالة السامية التي يسعى إلى تحقيقها.ويضيق بنا المقام أن نتناول المظاهر التنموية في بناء المؤسسات الاجتماعية كافة، لذا سيقتصر تناولنا على إحدى هذه المؤسسات إلا وهي المؤسسة الأسرية باعتبارها الحجيرة الأولى في البناء الاجتماعي للمجتمع.

مراحل تكوين المؤسسة الأسرية.

(19) رواه النسائي ، برقم(2507).

وضع الإسلام نظاماً متكاملاً يشمل جميع مراحل تكوين هذه المؤسسة_ من الاختيار إلى العقد والزواج والإنجاب والرعاية والتنشئة حتى نصل إلى مرحلة تبادل الأدوار بين الآباء والأبناء_ آخذا بنظر الاعتبار الوظائف الأساسية المنوط بهذه المؤسسة، لتكون ركيزة راسخة في البناء الاجتماعي، ونواة فاعلة في بناء المجتمع النموذج.

أولى الإسلام مرحلة الاختيار أهمية خاصة، لأنها تعتمد عليها كل الخطوات والمراحل اللاحقة.فيرشد الرسول (ﷺ) إلى أن اختيار المرأة يكون أما لجمالها أو لمالها أو لنسبها أو لدينها، وأوصى(ﷺ) باختيار ذات الدين لما له من اثر في التوجيه وغرس خشية الله وطاعته في القلب، ونبه إلى إتمام ذلك بان تكون المختارة ودوداً ولوداً بكراً.(تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[20]، وقال: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ....[21]، وقال (ﷺ)لجابر(فَهَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُضَاحِكُكَ وَتُضَاحِكُهَا وَتُلَاعِبُكَ وَتُلَاعِبُهَا)[22]، وهذا من جهة الزوج أما من جهة أهل الزوجة فيقول (ﷺ)((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))[23].

وعلى الرغم من أن الاختيار مرتبط بمهمة عبادية أساسا، إلا أن الإسلام لم يغفل الجوانب النفسية والفسلجية والعاطفية، كي يكون هناك توازنٌ نفسيٌ واجتماعيّ.واشترط الإسلام في الاختيار اجتناب المحارم تلافياً لعدم التوافق الأسري ومن اجل توفير الحماية للعلاقات الزوجية وإقامتها على المودة والرحمة، والمحرمات في الإسلام أربع فئات:-

1.تحريم المشركات: لقوله تعالى(وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ....) البقرة/221.

2.تحريم المقيمات على الزنا: لقوله تعالى(... وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) النور/3.

---

(20) رواه البخاري ، برقم (4700).

(21) رواه أبو داؤد ، برقم (1754).

(22) رواه مسلم ، برقم (2667).

(23) رواه الترمذي ، برقم (1004).

3.تحريم قرابة النسب: لقوله تعالى(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً) النساء/23.

4.تحريم قرابة الرضاعة، فحرم الإسلام بسبب الرضاعة ما يحرم بسبب النسب.

والمرحلة الثانية وهي الخطبة تقع بين التفكير والاختيار، وبين عقد الزواج والخطبة، لا توجد في الإسلام إجراءات محددة بعينها[24]، لكن الإجراءات العامة هو أن يتقدم الرجل لأهل الفتاة يطلب الزواج منها، ويستحسن أن تراه ويراها من غير أن يجلس معها في خلوة، فانه يروى في ذلك أن المغيرة ابن شعبة خطب امرأة، وأراد أن يتزوجها، فقال (ﷺ): أنظرت إليها؟ قال: لا، فقال النبي (ﷺ): (انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا)[25]، واشترط الإسلام في الخطبة عدة شروط منها:-

- أن تكون المرأة ممن يحل زواجها للرجل وقت الخطبة، فلا تصح خطبة متزوجة كما لا تصح خطبة امرأة مطلقة لم تنته عدتها، وكذلك امرأة توفى زوجها دون إكمال عدتها.
- ويشترط في الخطبة أيضا أن لا تكون المرأة مخطوبة ولم يعلن رفض خطبة الخاطب الذي سبق إليها، لان ذلك من شأنه أن يؤدي إلى النزاع بين المسلمين،فقال الرسول (ﷺ) (الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ فَلَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ)[26].

(24) صقر، عطية ، الأسرة تحت رعاية الإسلام، مؤسسة الصباح، الكويت، ط1، 1980، ص261.

(25) رواه الترمذي ، برقم (1007).

(26) رواه مسلم، برقم (2536).

والخطبة ليست ملزمة لأي من الطرفين، فللرجل أن يعدل عن خطبته إذا رأى ما يشين، وللمرأة أن تعدل عن قبوله كذلك[27]، لان حرية الزواج يجب أن تكون مكفولة للطرفين مما يجعل منه خطوة ايجابية تؤدي إلى تكوين حياة سعيدة ومستقرة.

المرحلة الثالثة، مرحلة العقد والزواج، وتمثل بداية الحياة الزوجية المشتركة وفي هذه المرحلة تتبلور مراكز وادوار جديدة يترتب عليها حقوق وواجبات متبادلة وقد حدد الإسلام شروطه وواجباته.

وحدد الإسلام تلك الحقوق والواجبات الأسرية بصورة متوازنة بما يحفظ لهذه الأسرة كيانها ويقوي أواصرها وبما يتناسب مع إمكانيات ومسؤوليات كل طرف من أطرافها [28].

ومن العرض السابق يتضح لنا مقدار حرص الإسلام خلال كافة مراحل تكوين الأسرة على أن تبنى هذه المؤسسة على أسس سليمة لما يكفل لها أداءها لوظائفها الأساسية على أكمل وجه،مما ينتج لأطرافها الانصهار في بودقة واحدة تختفي فيها الأنانية والأثرة ويسود الإيثار ليتحقق التكافل الاجتماعي بين أطرافها القائم على الألفة والمودة والرحمة لتسكن إليها النفس البشرية وتطمئن.

ونستدل من ذلك على أن الإسلام جعل من الأسرة مشروعاً تنمويا فهي الركيزة الأساسية في البناء الاجتماعي للمجتمع،وما ذكر عن اهتمام الإسلام بالمؤسسة الأسرية وقواعد تنظيمها في مختلف مراحل تكوينها ينطبق تماماً على باقي المؤسسات الاجتماعية حيث حدد الإسلام قواعد معيارية ووظيفية لتكوين باقي المؤسسات الاجتماعية التي تهدف إلى تنظيم شؤون الحياة وتنسيق عملية التفاعل الاجتماعي.

وتلك القواعد تتسم بالمرونة وتتمتع بالدايتميكية لتنسجم مع كل العصور والبيئات ولتساير عملية التطور الاجتماعي من أجل تحقيق الاستقرار والتقدم

---

(27) أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي، بلا مكان ولا سنة طبع، ص71.

(28) الجرداوي، عبد الرؤوف عبد العزيز "الدكتور" ، الإسلام وعلم الاجتماع العائلي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 198، ص146.

والتنمية في المجتمع، وهذا ما يدحض الرأي القائل بأن المنظور الإسلامي يتسم بالفردية الشديدة فهو يركز على الأفراد وضبط سلوكهم وحثّهم على الالتزام، في الوقت الذي يهمل المؤسسات الاجتماعية، إلا أن الإسلام سعى إلى بناء المؤسسات الاجتماعية على أسس سليمة لكي يكون لها دورها الفاعل في عملية بناء الفرد والمجتمع.

المظاهر التنموية في انساق العلاقات الاجتماعية

لقد سعى الإسلام لتحقيق كل ما من شانه أن يوفر الاستقرار النفسي والاجتماعي في حياة المسلم، فأحاطه بشبكة من العلاقات الاجتماعية غاية في الدقة والتنظيم، متوخيا اقرب الجذور إلى الذات الإنسانية.

وهذه العلاقات تتراوح في حجمها مابين ما يشمل جماعة محدودة من الناس وما يشمل الناس جميعاً، منها ما هو ثابت ومنها ما هو طارئ، ومنها ما هو عاطفي أو ثقافي أو اقتصادي. لكن يبقى الهدف الأساس من صياغة انساق العلاقات الاجتماعية وتنظيمها في المنظور الإسلامي هو تحقيق التوازن الاجتماعي والعبادي للذات الإنسانية، وان هذا يتحقق بمقدار العلاقات ونمط تنظيمها.

والمنظور الإسلامي لانساق العلاقات الاجتماعية يتميز عن سائر التصورات الأيديولوجية والدينية الأخرى لكونه يعتني كل العناية بعنصر العلاقات لدرجة يمكن القول بان المجتمع في المنظور الإسلامي لا يعني سوى شبكة أو نسيج من العلاقات المتشابكة والمتنوعة، والتي يمكن من خلالها أن يؤدي الإنسان رسالة في الحياة إلا وهي (الخلافة في الأرض).ومن يتأمل ذلك النسيج يجد خطوطاً متنوعة من العلاقات، تأتي في مقدمتها العلاقات الضرورية التي تحقق الحد الأدنى من التوازن المنشود، متمثلة في أربعة انساق هي (الأسرة، والقرابة، والجيران، والأصدقاء).

وتتسم انساق العلاقات هذه بجملة منها:-

- لا مناص من إقامتها " اتساقا مع فطرية الحاجة إلى الاجتماع ".
- ويغلب عليها طابع العطاء وليس الاكتساب.

- تتسم بالثبات والاستمرارية وان كانت عرضة للتغير أحيانا.
- إن جميع أفراد المجتمع ينتظمون في هذه الشبكة من العلاقات، فكل فرد من أفراد المجتمع يحتل مركزاً ويلعب دوراً في هذه الأنساق، فكل فرد لا مناص من أن ينتسب إلى أسرة ويتفاعل مع أقربائه ويتواصل مع جيرانه، ويتعاطف مع أصدقائه، فيكون المجتمع بأسره[29].

ويحسن بنا أن نوجز وبشكل مقتضب الأنساق الأربعة من شبكة العلاقات الاجتماعية.

أولا: انساق العلاقات الأسرية.

بعد أن نقل الإسلام دائرة الولاء من القبيلة والعشيرة إلى الأسرة، عمد إلى بناء قاعدة متينة لهذه الجماعة الاجتماعية الأولى من خلال ربط انساق العلاقات الاجتماعية فيها بالجانب العقائدي، و **تقسم انساق العلاقات الاجتماعية في الأسرة على ثلاثة أقسام:-**

1. **نسق العلاقة بين الزوجين**

رسم الإسلام حدوداً واضحة لطبيعة العلاقة بين الزوجين بما يحفظ للأسرة كيانها ويقوي أواصرها، فالعلاقة بين الزوجين قائمة على أساس المودة والرحمة(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً...) الروم/21.وقائمة على أساس العدالة (.. وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ..)البقرة/228.وقائمة على أساس حسن المعاشرة وطيب المعاملة(وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)[30]، وتلك هي أسس العلاقة الزوجية السليمة حيث يكفل لها الدوام والاستقرار ويرسخ أواصر المحبة بين أطرافها، وما أحوج هذه المؤسسة لتلك الأسس لتقوم بمهامها الجسام على أكمل وجه.

2. **نسق العلاقة بين الآباء والأبناء**

(29) البستاني، محمود" الدكتور"، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994، ص184_185.

(30) رواه الترمذي، برقم (1082).

نظم الإسلام العلاقة بين الآباء والأبناء بشكل دقيق، حيث يدرك الآباء ما يجب عليهم نحو أبنائهم، وعّرف الأبناء بالواجبات المفروضة عليهم نحو آبائهم، فبر الوالدين وطاعتهما أمر مفروض على الأبناء ومقرون بطاعته تعالى لما لذلك من بالغ الأثر على تعزيز أواصر العلاقات الأسرية فقال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً..) الإسراء/23.فربط الله تعالى الإحسان إليهما بعبادته، وقال تعالى(أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) لقمان/14. فقرن الشكر لهما بالشكر له جل شانه. وجاءت السنة النبوية مؤكدة ما يتوجب على الأبناء من الود والإحسان لوالديهما وحسن صحبتهما، قال: (مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ) [31]. وهنا ترتيب للحقوق حسب الحاجة إليها، فأصبح للأُم حقٌ مضاعف ثلاث مرات مقارنة بالأب، رحمة بها ووفاءً لما بذلته من جهد وعناء وضنى خلال مراحل الحمل وطيلة أيامه وأثناء الوضع وشدة آلامه، وما يلي ذلك من رضاعة ورعاية وسهر مضحية براحتها بلا ككل ولا ملل من أجل وليدها.

3. **نسق العلاقات الاجتماعية بين الإخوة**

نسق العلاقات بين الإخوة مظهر من مظاهر عملية التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة، ودور الأخ والأخت في العائلة لا يقل أهمية عن باقي الأدوار الاجتماعية في الأسرة، لذا حث الإسلام على تعزيز انساق العلاقات بين الإخوة وعدها واجبة، فقال رسول الله (ﷺ)(أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)[32] وهناك نلاحظ تقديم الأخت على الأخ على أساس أن الأخت هي الأكثر حاجة إلى التواصل وهي الحلقة الأضعف في هذه السلسلة فهي تحتاج إلى دعم وتعزيز كما سبقها الابتداء بالأم ثم الأب للسبب نفسه.ونسق العلاقات بين الإخوة يعزز ويقوى بالرحمة والعطف والاحترام والتوفير والتسامح واللين في التعامل، وعد الإسلام ذلك واجباً دينياً لتحقيق عملية التوازن النفسي والاجتماعي بين أفراد الأسرة.

ثانيا: انساق العلاقات القرابية

(31) رواه مسلم ، برقم (4622).

(32) رواه النسائي ، برقم (2485) .

استثمر الإسلام العاطفة القرابية بشكل مناسب من اجل تعزيز انساق العلاقات لبناء الجماعة الاجتماعية المتكاملة، وتأتي جماعة الأقارب في الدرجة التالية من حيث الأهمية بعد جماعة الأسرة، وتتميز بكونها جماعة مواجهة ثانية من حيث النسب (الأعمام والأخوال) وأهميتها تنبع من كونها ترتبط مع جماعة الأسرة برابطة النسب في اقرب خطوطه، وفاعليتها مكملة لفعالية الأسرة في شتى مستويات التفاعل الاجتماعي [33].

أولى الإسلام نسق العلاقات القرابية عناية خاصة، وأطلق عليها " صلة الرحم" وعد عملية التهاون فيها وعدم التواصل بعملية " قطع الرحم " وهي في مقدمة الكبائر من الذنوب لعظيم الأثر الذي تتركه على وحدة الجماعة وتماسكها، (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) محمد/22.

وورد عن رسول الله (ﷺ) مجموعة من الأحاديث تؤكد على أهمية نسق العلاقات القرابية (صلة الرحم) في الدنيا والآخرة منها.

- (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[34]
- (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[35]
- (إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللَّهُ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ)[36].

ونجد في هذه الأحاديث النبوية جزاءات دنيوية فضلا عن الجزاءات الأخروية رتبت على قاطع الرحم، ويكشف لنا تعجيل الجزاء في الحياة الدنيا على مدى الأهمية التي أضفاها الإسلام على هذا النسق من العلاقات لما لها من بالغ الأثر في إشاعة الألفة والمودة بين أفراد الجماعات القرابية.ومما سبق يتبين لنا كيف استثمر الإسلام اقرب الجذور إلى الذات الإنسانية في لتعزيز انساق العلاقات

(33) البستاني ، محمود، مصدر سابق، ص195.
(34) رواه البخاري ، برقم (1925).
(35) رواه احمد ، برقم (1150).
(36) رواه البخاري، برقم (5529).

الاجتماعية، ليظل فارضا فاعليته في تحقيق التوازن الاجتماعي المطلوب لاستقرار الحياة الاجتماعية في المجتمع.

ثالثا: انساق العلاقات بين الجيران

لم يهمل الإسلام عنصر المكان ودوره في تعزيز أصرة الترابط الاجتماعي بين الجماعات، فوحدة المكان تشد الجماعة إلى تأسيس علاقة مواجهة ثالثة لكن جذرها من نوع آخر يختلف عما سبقتها من علاقات، فبحكم التجاور وما يفرضه من عملية احتكاك مستمرة يخلق علاقات مواجهة سعى الإسلام أيضا لاستثمارها في عملية نسج شبكة العلاقات الاجتماعية والتي بدأها من الأقرب إلى الأبعد فالأبعد، قال تعالى (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ) النساء/36.

ومن الملاحظ أن مفهوم الجار في الفكر الاجتماعي الإسلامي يأخذ حيزاً ليشمل المحلة بأسرها، تحدد جماعة الجيران بأربعين جاراً، يحيط بالجار عشرة من كل جهة من الجهات الأربعة، وأهمية هذا التحديد تتمثل فيما يترتب عليها من سلوكٍ اجتماعيٍ يلتزم به الجيران في صياغة علاقاتهم[37].

ورويّ عن النبي (ﷺ) انه قسم الجيران على ثلاثة أقسام:-

1. جار ذو رحم مسلم، له حق الإسلام، وحق الرحم، وحق الجوار.
2. جار ذو رحم غير مسلم، له حق الرحم، وحق الجوار.
3. جار ليس ذا رحم وليس مسلماً، له حق الجوار.[38]

ودعى الإسلام إلى اختيار الجار قبل الأقدام على شراء الدار، وهذا الاختيار له أهميته الاجتماعية في تحقيق عملية الاستقرار الاجتماعي، فالجار السوي يساهم في تعزيز أواصر العلاقات وامتصاص أي توتر قد تفرزه طبيعة الحياة اليومية، وكما طالب الإسلام بألاّ يؤذي الجار جاره، فقال الرسول (ﷺ) (وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ

(37) البستاني ، محمود، مصدر سابق، ص198.

(38) أبو زهرة ، محمد تنظيم الإسلام للمجتمع، مصدر سابق، ص 167.

بَوَايِقَهُ)[39].وكذلك أوصى الإسلام بان يصبر الجار على أذى جاره، يقول الرسول (ﷺ) (ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.... وَرَجُلٌ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ وَيَحْتَسِبُهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِمَوْت أَوْ حَيَاة....)[40].

ومما سبق نخلص إلى أن تخطيطاً اجتماعياً إسلاميا رسم بدقة لخلق انساق من العلاقات الاجتماعية الحميمة بين الجيران لتعزيز عملية التوازن الاجتماعي في المجتمع المحلي.

رابعاً: انساق العلاقات بين الأصدقاء

جماعة الأصدقاء تحتل المرتبة الرابعة في سلسلة انساق العلاقات الاجتماعية بعد نسق العلاقات في جماعات الأسرة والأقارب والجيران، وهو النسق الأعم والاشمل حيث يغطي مساحة كبيرة في المجتمع، فلكل فرد من أفراد في المجتمع أقران وزملاء وأصدقاء يشترك معهم في ميول واتجاهات وغايات وتطلعات، حيث استثمر الإسلام الجذر العاطفي تلك الجماعة وسعى لتوظيفه اجتماعيا وعبادياً.

وحثّ الإسلام على كسب الأصدقاء ومصاحبة الأخيار، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم،(إن المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)[41].

وعَد الإسلام عملية كسب الأصدقاء منهج سليم لتحقيق التوازن للذات البشرية، وعلى الرغم من أن البعد العبادي هو المطلب الأول في أي نسق من انساق العلاقات إسلاميا، إلا أن البعد العاطفي يظل وسيلة لتحقيق ما هو عبادي واجتماعي على حد سواء.

ومما سبق نخلص إلى أن الإسلام سعى إلى إقامة انساق العلاقات الاجتماعية على أسس منطقية واقعية تعتمد على مسلمات تنبثق من أعماق الذات البشرية والانطلاق بها إلى آفاق اجتماعية رحبة لتشكيل شبكة العلاقات الاجتماعية واستثمارها في خلق توازن عبادي واجتماعي ونفسي للذات البشرية المؤمنة.

الخاتمة

(39) رواه البخاري، برقم (5557).

(40) رواه احمد ، برقم (20550).

(41) رواه الحاكم في المستدرك، برقم (59).

من خلال هذا البحث المقتضب لمظاهر المنظور التنموي للإسلام نخلص إلى ما يأتي:-

1. سعى الإسلام إلى استثمار كل مظاهر النشاط البشري وتوظيفها عباديا ونفسياً واجتماعيا واقتصاديا، لما يعود بالنفع على أفراد المجتمع كافة.
2. حّدد الإسلام منهاجاً دقيقاً للمسلم ليمسك بزمام المبادرة في يومه تجنبا لإهدار الوقت، وللتغلب على نوازع الكسل وجوانب الضعف الإنساني.
3. لقد تعامل النظام الاجتماعي الإسلامي مع الفطرة الإنسانية مستمداً منها مسوغاته وعمل على تجلّيها وسريان مفعولها إلى مفاصل الحياة ومظاهر السلوك كافة.
4. حدد الإسلام آليات دقيقة من خلال نظامه الاجتماعي لتجديد حيوية الإنسان وتعزيز فاعليته بصورة ديناميكية، فحدد الإطار العام لعملية التفاعل الاجتماعي، وحدد الملامح العامة للسلوك الاجتماعي، واعتمد آلية تفضيل الجزاءات الايجابية لتعزيز عملية الامتثال والالتزام بمتطلبات النظام الاجتماعي والمحافظة على هيبته.
5. يقوم النظام الاجتماعي الإسلامي على أساس تكامل الأدوار الوظيفية للمؤسسات الاجتماعية كافة، لهذا حدد قواعد معيارية لبناء المؤسسات في مختلف مراحل تكوينها تهدف بالأساس لتنظيم شؤون الحياة وخلق عملية التوازن الاجتماعي.
6. أولى الإسلام العلاقات الاجتماعية أهمية خاصة لما لها من دور كبير في إشباع نزعة الانتماء الاجتماعية وتحقيق الاستقرار والتوازن النفسي للمسلم، فأحاطه بشبكة من العلاقات الاجتماعية غاية في الدقة متوخياً اقرب الجذور إلى الذات الإنسانية.

The Development Prospective of Islam An Alytic Study in the frame ork of Development in the Social System

Dr. Shallal hamid suliman*

Abstract

Islam is a religion attempts to invest all of the human phenomena as well as to employ them adorationally , psychologically ,socially and economically in aaway to be useful for all the member of the society. Islam has restricted an accurate method for the muslem to hold the rein of the initiative in his daily life in order not to hase his time and to overcome all the tendencies of laziness and the aspects of the humanweakness. By deriving its justifications from the human nature Islam has dealt with the human nature and worked to clear it up applying its effectiveness to all the details of life as well as all the feature of manners.

Throrghout the social system of Islam , it has restricted an accura mechanism in order to renew the vitality of man and to reiforce his activity in a dynamic way. Then, Islam has restricted the general frame work of the social interation process. Thus it restricted the common features of social behaviour and depended on the mechanism of favoriting the passive reward to reinforce the process of obedience and observing the requirements of the social system as well as keeping its dignity.

* Dept. of Sociology / College of Arts/ University of Mosul.